

أهمية الذوق ومراحله في الدرس النقدي العربي القديم

The importance of taste and its stages in the ancient Arab critical lesson

أنيسة معزوزي*

جامعة باتنة 1

مخبر الأبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر

anissa.mazouzi@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2026-06-09

تاريخ الإرسال: 2025-01-18

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهمية الذوق العربي باعتباره عاملاً أساسياً لنشأة النقد، والكشف عن العلاقة الجامعة بينهما، فالنقد في بداياته الأولى يتميز بالبساطة والسهولة، وذلك راجع لمقتضيات البيئة، فكان الناقد يصدر أحكاماً بالاستحسان أو الاستهجان معتمداً في ذلك على إحساسه المرهف وذوقه الذاتي دون تعليل أو استقراء النصوص، لذلك اعتبره النقاد أداة من أدوات الناقد التي يعتمد عليها في دراسة النصوص الأدبية، ومن بينهم ابن سلام الجمحي الذي عد الذوق ملكة لازمة في الناقد، كما أرجع أحكام الأدب إلى ذوق الناقد، وعد الذوق أداة للنقد الذي يميز بين الجودة والرداءة.

وتوصلت هذه الدراسة إلى نتائج تبين أن الذوق من أولى الخطوات التي تقوم عليها العملية النقدية، حتى عده النقاد القدامى المعيار الأساسي في الحكم على أي عمل إبداعي دون تقديم المبررات والأسباب.

الكلمات المفتاحية: أهمية ؛ ذوق ؛ مراحل ؛ نقدي ؛ عربي ؛ قديم.

Abstract:

This study aims to stand on the importance of Arab literary appreciation as a critical factor for the emergence of criticism and to reveal the overarching relationship between them. In its early beginnings, Criticism was characterized by simplicity and ease; This is due to the requirements of the environment, So the critic would issue judgments of approval or disapproval based on his/her delicate sense and subjective literary appreciation without justifying or extrapolating the texts. Therefore, Critics

*-المؤلف المراسل.

considered it one of the critic's tools that he relied on in studying literary texts, Including Ibn Salam al-Jumahi, who considered it a necessary faculty for the critic.

The results of the study revealed that literary appreciation is one of the first steps underlying the criticism process, Even as long-standing critics considered it the fundamental criterion in judging any creative work without providing justification and reasons.

Keywords: Importance; Taste; Stages; Critical; Arabic; old.

مقدمة:

يقوم النقد على الإحساس بأثر الشعر في النفس، وعلى مقدار وقع الكلام عند الناقد، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفاً، والعربي قديماً يحس أثر الشعر إحساساً فطرياً لا تعقيد فيه، ويتذوقه جِبَلَّةً وطبعاً، ويعتمد في حكمه على الذوق، ويرتقي هذا الذوق عند طائفة من الناس فيتفوقوا على تفضيل أثر على أثر أو شاعر على شاعر.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج قضية في غاية الأهمية تتعلق بالذوق العربي وطرق استخدامه في المفاضلة بين الشعراء، الذي أصبح عاملاً أساسياً في إصدار الأحكام النقدية. ولعل أهمية الذوق وقيمته تبدو من خلال تسليط الضوء على رؤى النقاد وإبراز أوجه الاختلاف فيما بينهم حول مسألة الذوق، الذي شغل بالهم وبالأدباء والباحثين على حد سواء.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف الآتية:

- التعرف على معنى الذوق لغة واصطلاحاً لدى النقاد القدامى وذلك من خلال دراسة مفاهيم متعلقة به.
- الوقوف عند أهمية الذوق وذلك من خلال إبراز العلاقة الجامعة بين الذوق والنقد.
- معرفة أهم الخطوات التي يقوم عليها الذوق في العملية النقدية.

إشكالية الدراسة:

تتمثل المشكلة الأساسية حسب بحثنا هذا في الأسباب والدوافع التي جعلت النقاد القدماء يعتمدون على الذوق في تقييم الأدباء والشعراء وتفضيلهم على غيرهم، انطلاقاً من ذوقهم الخالص وإحساسهم المرهف، دون تعليل أو تعليق على الأحكام النقدية، وعليه جاءت إشكالية البحث كالتالي: إلى أي مدى يمكننا أن نعتمد على الذوق الأدبي معياراً نقدياً في إصدار الأحكام النقدية والمفاضلة بين الشعراء؟ وكيف فسر النقاد ذلك؟ وتتفرع هذه الإشكالية إلى أسئلة فرعية وهي:

- كيف فهم النقاد القدامى الذوق؟
- هل الذوق هو المعيار الوحيد الذي كان يعتمد عليه النقاد في إصدار الأحكام النقدية؟
- كيف كان الذوق عند العرب؟

الدراسات السابقة:

رصدت أثناء بحثي عدداً من الدراسات السابقة التي تعرضت لدراسة هذا الموضوع منها:

- 1- نجوى صابر، (2006م). الذوق الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس، ط1، دار الوفاء لنديا لطباعة والنشر، الإسكندرية.
- استهلت نجوى صابر حديثها بماهية الذوق وأهميته، وبعد ذلك قدمت نماذج الذوق عند النقاد العرب من بينهم: عبد القاهر الجرجاني، أبو القاسم الأمدي.
- 2- ماهر شعبان عبد الباري، (2009م)، التذوق الأدبي، طبيعته، نظرياته، مقوماته، معايير، قياسه، ط1، دار الفكر، عمان.
- عالج ماهر شعبان في كتابه هذا مفهوم الأدب ووظائفه، ثم بين طبيعة التذوق الأدبي ونظرياته، واختتم بمعايير الذوق الأدبي وقياسه.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة تقنية الوصف و التحليل لأهم الدراسات التي بحثت في موضوع الذوق العربي واستخلاص أهم النتائج التي توصل إليها النقاد القدامى، وقد تم ذلك من

خلال تقديم بعض النماذج القديمة التي كانت قائمة على الذوق الخالص والإحساس المرهف للذات كان يتكئ عليهما النقاد القدامى في إصدار الأحكام النقدية.

1- ماهية الذوق في منظومة النقدية العربية القديمة والحديثة

1.1- ماهية الذوق:

أ.في المعاجم:

عرف الشريف الجرجاني (ت816هـ) "الذوق" بأنه قوة منبئة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالفة الرطوبة اللعابية في الفم بالمطعوم،... والذوق في معرفة الله عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره".¹

كما وردت مادة "ذاق" في القاموس المحيط "لفيروز آبادي (ت817هـ) ذاقه، ذوقا وذواقا ومذاقا ومذاقة: اختبر طعمه، وأذقته أنا، وذاق القوس: جذب وترها اختبارا، وما ذاق ذواقا شيئا وأذاق زيد بعدك كرما، صار كريما، وتذوقه ذاقه مرة بعد مرة، وتذوقوا الرماح تناولوها".²

وبناء على ما تقدم يتضح أن الذوق هو التعرف على الطعام والشراب، ثم استيعار المعنى لأغراض أخرى، وهذا ما أكدته ابن قتيبة (ت286هـ) بقوله: "وأصل الذوق: بالفم، ثم قد يُستعار فيوضع الابتلاء والاختبار".³

ب.الذوق في منظومة النقدية العربية القديمة:

تنوعت دلالات الذوق وتعددت بتعدد الأشخاص، إذ نجد ابن "طباطبا" (ت322هـ) في "كتابه" عيار الشعر "يعرف الشعر قائلا: "كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل به من جهته مجته الأسماع وفسد في الذوق ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم

¹ الشريف الجرجاني، (د ت)، معجم التعريفات، د ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص93.

² الفيروز آبادي، (2007م)، معجم المحيط، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص900.

³ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (د ت)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، د ط، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ص105.

الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدق به حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف فيه.¹ فالذوق مهم في عملية الشعر وابن طباطبا يقر بذلك، كما أنه ربط الذوق بالفهم الثاقب بقوله: "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب، فما قبله واصطفاه فهو واف، وما مجه، ونفاه فهو ناقص، والعلة في القبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبیح منه، واهتزازه لما يقبله، وتكرهه لما ينفيه، أن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبع له إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه، وبموافقة لا مضادة معها...."² فالذوق حسبه يكون بالفهم الجيد والارتياح له، والناقد عندما يتناول الشعر يعتمد على إحساسه وذوقه الخاص ليميز حسنه من قبيحه، ويرى في النظم والأوزان الشعرية أن "الطبع والذوق هما المعول عليهما، لغير الحاجة إلى الاستعانة بالعروض، أما من اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بعلم العروض والحدق به، فالذوق مقدم، والقواعد يستعان بها عند اضطرابه"³ فقد جعل الذوق معياراً للفهم والتمييز بين صواب الكلام وباطله.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) فقد اعتبر الذوق ملكة ضرورية للناقد، ولا بد أن تكون هذه الملكة متوفرة لديه، لكي تهيئه لتذوق الأدب، وفي هذا الصدد يقول: "ليس الداء فيه بالهين، ولا هو بحيث إذا رمت العلاج منه وجدت الإمكان فيه مع كل أحد مسعفاً، والسعي منجحا، لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها، أمور خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علماً بها، حتى يكون مهياً لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة... وممن إذا تصفح الكلام وتدبر الشعر فرق بين موقع شيء منها وشيء."⁴ وهذه المزايا أمور خفية وسبيل فهمها يكون عن طريق الذوق، وحكم الذوق ليس فيه مجال للاحتجاج بحجج منطقية مقنعة تبين

¹ محمد أحمد ابن طباطبا العلوي، (2005م)، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص9.

² ينظر: المصدر نفسه، ص20.

³ ينظر: عامر فخر الدين، (2000م)، أسس النقد الأدبي في عيار الشعر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص127.

⁴ عبد القاهر الجرجاني (ت1231هـ)، دلائل الإعجاز، د ط، مطبعة المنار، د ب، ص419.

مفضلة شيء على شيء آخر، وليست له قيود يفرضها عليه قانون، ومنبعه النفس التي لها أحوال تتصرف بها فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له، وحدثت لها أريحية وطرب، وإذا ورد عليها ما يخالفها، قلقت واستوحشت.....¹

و يختلف الذوق باختلاف الأفراد، أو الخبرة الفنية أو في التجارب الأدبية، فعبد القاهر الجرجاني ربط الذوق باللفظ والنظم إذ يقول: "لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أصل الذوق والمعرفة.... الذوق الذي يقيمه به، والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه، وما خرج من البحر مما لم يخرج منه، في أنك لا تتصد له ولا تتكلف تعريفه لعلمك أنه قد عدم الأداة التي معها تعرف، والحاسة التي بها تجد....."² وهنا عبد القاهر يشترط ضرورة تنمية كل من الذوق والطبع في إصدار حكم نقدي.

والذوق يكون في الكلام عن طريق الدربة والمران، ويكون طبعاً وسليقة، ويكتسب بمخالطة الصفوة من رجال الأدب، والمطالعة للروائع الأدبية من آثار الأدباء، وهذا ما أكده ابن خلدون (ت808هـ) بقوله: "اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان، ومعناها: حصول ملكة البلاغة للسان، وقد مر تفسير البلاغة، وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه، بخواص تقع للتركيب في إفادة ذلك، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه، وسهل عليه أمر التركيب، حتى لا يكاد ينحو فيه منحى البلاغة التي للعرب...."³

وتحصل هذه الملكة بالممارسة والمران لكلام العرب، والمعيار الذوق متمثلاً في أحكام نقدة الشعر، فهو إحساس محض، لذلك هو "ملكة إن لم يكن مردها ككل شيء في نفوسنا إلى أصالة الطبع، إلا أنها تنمو وتصل بالمران."⁴

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص422.

² المصدر نفسه، ص255.

³ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (د ت)، المقدمة، د ط، المكتبة التجارية، د ب، ص515.

⁴ رشيد سلاوي، (2009م)، مصطلح النقد في تراث محمد مندور، ط1، جدار الكتاب العالمي للنشر

والتوزيع، عمان، ص539.

ج. الذوق عند المحدثين:

حاول "إدموند بيرك Edmund Burke" (ت1882م) تحديد تعريف "الذوق" بقوله: "وأنا لا أعنى بكلمة الذوق أكثر من تلك الملكة أو هذه الملكات العقلية التي تؤثر في تشكيل الحكم على الأعمال الإبداعية وعلى الفنون الجميلة، وهذا ما أعتقد أنه يمثل معظم الفكرة العامة لهذه الكلمة"¹ فالذوق هو القدرة المتمكنة الجيدة والحكم المهذب المصفى في ممارسة العمل الأدبي.

واعتبر "توماس ستيرنز إليوت I.S.ELIOT" (ت1965م) جانب الدربة والدراسة كأساس في تكوين الذوق حتى ينمو ويؤدي عمله في النشاط النقدي، يقول: "الذوق شيء يتكون من الاستمرار في مصاحبة ومعايشة الجيد من الآثار الفنية، وعلى الناقد أن يكون قادراً على أن يعطي أسباباً معقولة لمفاضلاته،.... والذوق شيء يمكن إلى حد كبير أن يتكون، إنه ليس غريزياً بكل معنى الكلمة، بمعنى أن يولد به الإنسان أو لا يولد، فكثير منا قد نما ذوقه في ناحية خاصة أو اتجاه معين، فمننا من يتطور عنده الذوق الأدبي في الوقت الذي لا يعتبر صاحب ذوق ناضج في أنواع أخرى من الفنون."² فهو يعتبر الذوق كالمعيار أو الميزان الدقيق الذي يزن به الآثار الأدبية فيعدل في الحكم عليها.

كما عرّف عبد القادر حامد (ت1966م) "الذوق" بأنه "استعداد خاص يربى صاحبه لتقدير الجمال، والاستمتاع به، ومحاكاته بقدر ما يستطيع في أعماله، وأقواله، وأفكاره، فمن لديه ذوق أدبي راق كان لديه استعداد، لتقدير الأدب حق قدره، وإدراك ما فيه من جمال، والاستمتاع بهذا الجمال الأدبي، والشعور بالسرور واللذة عند إدراكه، ومحاكاة ذلك الجمال في أقواله وأفكاره، أي فيما يستخدم من ألفاظ وعبارات، وفيما يريد أن يعبر عنه من أفكار ومبادئ، وذلك كله بقدر ما يستطيع"³. ويرى أن الذوق السليم بوجه عام مصدر سرور ولذة، إذ هو يحمل صاحبه على ترتيب الأعمال وتنظيمها، وتهذيب الأفكار، والسمو بها

¹ نجوى صابر، (2006م)، الذوق الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، ص14.

² ينظر: محمد زكي العشماوي، (1988م)، قضايا النقد بين القديم والحديث، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، ص333.

³ عبد القادر حامد، (1949م)، دراسات في علم النفس الأدبي، دط، المطبعة النموذجية، د ب، ص145.

عن مواطن القبح، وتنسيق الألفاظ والعبارات ليحسن وقعها على السمع، وتجميل البيئة لتكون منبعاً يفيض بهجة وسرورا.

2.1- الذوق عند العرب :

تشعب النقد في أواخر القرن الأول عند الأدباء وتنوع واختلفت فيه وجوه الرأي، في ضروب الصياغة، وتنوع الأعاريض، ومرامي المعاني، ومذاهب الشعراء وفنوتهم، وكانوا يعتمدون في النقد على السليقة والطبع وعلى الذوق العربي الخالص وهذا الذوق " صاف منسجم متساير مع الحياة الاجتماعية، فالشعر كلام، وخيره أجوده، والشعر تصوير الحياة، وخيره ما أحسن هذا التصوير".¹

كما عني مجال النقد بدراسة النصوص الأدبية ونقدها وإبراز صحيحها من زائفها، وهنا يأتي دور الناقد في الوصول إلى هذا التمييز، وهو الذوق الأدبي المستنير بالمعرفة، فالذوق ملكة فطرية ودربة متصلة مع النصوص الجيدة المختارة، وهذه الدربة تؤهل الناقد لكي يكون صاحب صناعة في النقد، وهذه الصناعة تعطي لصاحبها الحق في ضرورة الرجوع إليها والحكم بها، وقد عبر ابن سلام الجمحي (ت231هـ) عن هذا بقوله: " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما تثقفه اللسان".² وصناعة العلم يرجع فيها إلى أهل الخبرة والدربة والمعرفة الذين لهم القدرة في بيان جيدها من رديئها.

ويرى ابن سلام أن حقائق النقد الأدبي تقوم على أمرين أساسيين هما:³

1. اعترافه بمبدأ التذوق والتأثر في العمل الأدبي.

2. الحد من هذه التأثيرية، وعدم الخضوع إلا لما كان مدرباً منها، فليس الاستحسان

المجرد عنده كافياً للحكم بالجودة، وإنما ينبغي أن يصدر الاستحسان ممن هو أصيل

في هذا الفن عارفاً به.

² طه أحمد إبراهيم، (د ت)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ج 1، المكتبة الفصلية، السعودية، د ب، ص 48.

² محمد ابن سلام الجمحي، (1988م)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق جوزيف هل، ط 2، دار الكتب

العلمية، بيروت، ص 5

² ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 7.

والأمدي(ت370هـ) لم يرض حين تعرض للموازنة بين أبي تمام والبحتري أن يكون حكمه وقضاؤه ملزماً لغيره، إنما ترك مجالاً للنظر والتأمل، مع التوضيح الجيد والردىء من شعر هذين الشاعرين يقول: "وأكلك بعد ذلك إلى اختيارك، وما تقضي عليه فطنتك وتميزك، فينبغي أن تنعم النظر فيما يرد عليك، ولن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، ومن إذا علم أنصف"¹. وقد كانت هذه الموازنة فنية أدبية تعبر عن القيم القائمة على الخبرة بالشعر والمعرفة بالأدب.

وبعد الذوق أولى ملكات الناقد "وتلك الملكة لا غنى لأي ناقد عنها، لأنها تمكنه من التعرف على مواطن الجمال والقبح فيما يعرض له من النصوص.... وتبين أسرارها، ثم يعلل لها بما أوتي من العلم والمعرفة، والإحاطة بجوانب الموضوع، وبما أوتي كذلك من قدرة على التعمق، والتحليل، والاكتشاف.² فبداية الذوق ملكة، وهذه الملكة تجعله قادراً على التمييز بين الجمال والقبح في العمل الأدبي، وهذا ما أكده الأمدي بقوله "ويبقى ما لم يمكن إخراجه إلى البيان، ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة، ودائم التجربة، وطول الملابس، وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته، وقلت دربته، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطبائع وامتزاج، وإلا لا يتم ذلك.³ فالأمدي يرى أن الذوق علة في ذاته، ولا تكون هذه علة إلا بالدربة والمران ودائم التجربة.

وهذا النقد الذوقي كان يغلب عليه أمران هما:⁴

¹ أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، (1953م)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق اليسد صقر ج1، د ط، دار المعارف، القاهرة، ص389.

⁴ توفيق مجدي، (2008م)، المعرفة التاريخية للنقد العربي القديم، د ط، دار الوفاء، لدنيا لطباعة والنشر، الإسكندرية، ص17.

¹ أبو القاسم الحسن الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، نقلاً عن توفيق مجدي، المعرفة التاريخية للنقد العربي، ص181

² محمد مندور، (1996م)، النقد المنهجي عند العرب، منهج بحث في الأدب واللغة، د ط، دار نهضة مصر لطباعة والنشر، القاهرة، ص17.

- عدم وجود المنهج: وهذا طبيعي لأن العرب سيطرت عليهم بيئة البداوة، فالرجل الفطري يستطيع بإحساسه أن يخلق أجمل الشعر، يصوغه من مشاعره ومعطيات حواسه.

-عدم التعليل المفصل: فالعرب لم يضعوا شيئا من مبادئ العلوم اللغوية المختلفة التي لم تدون إلا في العصر العباسي، والاتجاه إلى تعليل حليف بذاته أن يسوق إلى التمييز والتقدير والمراجعة. وهذان الأمران واضحان في بعض الأحكام التقليدية المروية في كتب الأدب.

وقد عد النقاد العرب أن ممارسة الأدب ومخالطته شرطاً أساسياً في تربية الذوق، وهذا ما أكدّه إبراهيم صدقة¹ إذ يرى "أن النقد العربي القديم نشأ نشأة بسيطة لأن الناقد يعتمد على ذوقه وانطباعه الفطري، يوجه نقده للشعر في كلمة أو جملة تجاه بيت أو عدة أبيات، كانت قد تركت في نفسه أثراً معيناً، لأن الانطباع فطري في الإنسان، فهو يتأثر بالأشياء الجميلة وبكل ما هو حسن فتبتهج له نفسه بينما تنفر من كل ما هو قبيح وذميم وتشمئز منه¹. لكن السابقين لوضع أصول النقد وقواعده هم اليونان القدماء، وبدأ النقد عندهم نقداً ساذجاً ثم أخذ شيئاً فشيئاً يأخذ شكله النهائي عند أرسطو، فأولى صورة في ذلك الجهد الخصب الذي كان يبذله الشعراء القدماء في أناشيدهم وملاحمهم أثناء عصر البطولة والأساطير، فكانوا يضيفون إلى ما يروون بعض المقطوعات، كما قد يضيفون الملاحظات البيانية معتمدين على ذوقهم وحسهم الأدبي، وما فطنوا إليه من صور الفصاحة والبالغة²، فالنقد في مراحله الأولى كان ساذجاً فطرياً يتماشى مع الذوق الأدبي، ومع العصر الذي قيل فيه.

ومن أمثلة ذلك حين تنازع امرئ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل أيهما أشعر من الآخر، فتحاكما إلى أم جندب زوجة امرؤ القيس فقالت لهما "قولا شعرا على روي واحد، وقافية واحدة تصفا فيه الخيل.

فقال امرؤ القيس:

خَلِيلِي مُرّاً بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ نَقَضَ لَبَانَاتِ الْفُوَادِ الْمُعْدَبِ

¹ إبراهيم صدقة، (2011م)، التأثرية والنقد التأثري، د ط، عالم الكتب الحديث، ص 14.

² إبراهيم رماني، (1985م)، أوراق في النقد الأدبي، د ط، دار الشهاب، باتنة، الجزائر ص 23.

وقال علقمة:

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

و حكمت لعلقمة على امرؤ القيس، وقال لها: بأي شيء فضّلت علقمة عليّ؟ فقالت له لأنك قلت:

فَلَسَّ سَوَاطِلَ الْهَوْبِ وَلِلْسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعٌ أَخْرَجَ مِنْعَبِ

فجهدت فرسك بسوطك، ومزّيته بساقك، وزجرته، وأتعبته بجهدك.

أما علقمة فقال:

فَأَدْرَكْنِي ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يُمْرُ كَمَرِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ

فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمزّيه بساق، ولم يتعبه بزجر.¹

فحكمت لعلقمة على امرئ القيس انطلاقا من ذوقها الخاص، وكان حكمها جزئيا

لأنها حكمت على بيت واحد ثم عممت القصيدة كلها.

2- أهمية الذوق ومراحلها

1.2- أهمية الذوق:

وبناء على ما سبق يمكن أن نستنبط أبرز العناصر التي تتجلى فيها أهمية الذوق

الأدبي وهي:

- يساعد الذوق الأدبي على ترقية الحياة، لأن المتلقي عندما يقرأ عملا ما فإنه يقرأه

لإشباع حاجة وجدانية لديه، أو لغرس قيمة في نفسه، أو لتعديل سلوكه.

¹ محمد ابن علي، (د ت)، الشواهد النقدية من العصر الجاهلي إلى بداية عصر التأليف، د ط، ديوان

المطبوعات، الجامعة الجزائرية، ص 7.

- إن وزارة التربية والتعليم جعلت الذوق هدفا رئيسا من أهداف تعليم اللغة العربية بصفة عامة، وأهداف تعليم الأدب والنصوص بصفة خاصة، في جميع المراحل الدراسية، وتؤكد أهداف تعليم الأدب والنصوص على ضرورة تنمية التذوق الأدبي.¹

- يساعد الذوق الأدبي في القدرة على التفكير العلمي، والقدرة على تذوق الجمال الكون والاستمتاع بالفنون، فهما أمران أساسيان في حياة كل فرد.²

- إن الذوق كان هو السائد في العصر الجاهلي وهو ذوق راق لأنه شجع الشعراء على الاستمرار.

- كان الذوق بمثابة المحفز الرئيسي للشعراء، لأنه دفعهم إلى التجويد والاهتمام بأشعارهم.

2.2- مراحل عملية الذوق:

تمر عملية الذوق بالمراحل العقلية والنفسية والعاطفية من خلال معاشتها للنص الأدبي دون إصدار حكم عليه بأربع مراحل وهي:³

1- البعد المعرفي: ويتضمن الاستعدادات العقلية والعمليات المعرفية التي رُوِّدَ بها الإنسان، والتي هي من قبيل الفهم والاستدلال والحدس والأصالة.

2- البعد الوجداني: ويتضمن القيم الشخصية والاتجاهات والميول والدوافع، والخصائص الشخصية مما يلعب دورا أساسيا في تشكيل بطانة وجدانية يقبل بها الإنسان أو يرفض.

¹وزارة التربية والتعليم، (1999م)، مناهج المرحلة الإعدادية، د ط، د د، القاهرة، ص78.

²ينظر ماهر شعبان عبد الباري، (2009م)، التذوق الأدبي، طبيعته، نظرياته، مقوماته، معانيه، ط1، دار الفكر، عمان، ص92.

³ينظر: نجوى صابر، الذوق الأدبي عند العرب، ص10.

3-البعد الاجتماعي:ويتضمن التراث الثقافي والاقتصادي، وما هو شائع بين الجماعة من أعراف ومعايير.

4-البعد الجمالي التشكيلي:في هذا البعد يشار إلى مجموعة من الخصائص الجمالية بعضها كامن في صميم العمل المعروض على المتلقي، وبعضها كامن داخل مكونات السلوك الشخصي.

الخاتمة:

إن النقد الأدبي هو ملكة وذوق وفطرة قبل أن يكون علما،وقد وُجد الأديب المنشد الذي وهب ملكة الإنشاء والإبداع الأدبي،الذي يستطيع أن يصور من خلاله ما يجيش في خاطره من أفكار وأحاسيس بأسلوب مثير،كما وجد الإنسان الذواق المرفه الإحساس الذي يستطيع أن يكشف عما في العمل الأدبي من جمال أو قبح،وهو ما كان لدى الإنسان العربي قديما.

وبعد مرورنا بالمحطات العربية السابقة تبين لنا مجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- إن الذوق هو عماد فهم النصوص الأدبية وتذوقها والإحساس بما فيها من عناصر عذبة، أو رقيقة جليلة، وهو المعيار النقدي الذي اعتمده النقاد في المفاضلة بين شاعر وآخر، أو بين قصيدة وأخرى.

- يعد الذوق من أوليات وأساسيات النقد الأدبي،ومن معايير الهامة التي يتكئ عليها النقاد القدامى في إصدار الأحكام النقدية.

- الذوق الأدبي يتفاوت بتفاوت الأفراد ويختلف في الفرد بعينه باختلاف العصور. - إن الذوق في مجمله استعداد فطري، ويكون في الكلام عن طريق الدربة والمران ودائم التجربة.

- يرى ابن خلدون الذوق هو الملكة التي تجمع بين القدرة على التأليف والقدرة على النقد الأدبي، كما يرى أن هذه الملكة تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السمع.

- اعتبر كل من عبد القاهر الجرجاني وابن طباطبا أن الذوق ملكة ضرورية بالنسبة للناقد، ومهمة في عملية الشعر، وهذه الملكة يدرك الإنسان مواطن الجمال في الأدب.

- بدأ الإحساس بالتغير والتطور حين أخذت بعض الأذواق تتحول عن تلك النماذج إلى نماذج جديدة.

وفي ختام هذا البحث القصير نود تقديم مجموعة من التوصيات لعلها تقدم خدمة أعمق للبحث مستقبلاً:

- إعادة الاعتبار لراوية الشعر لأنه دافع محفز لنضوج النقد وازدهاره.
- ضرورة الالتزام بالمبادئ النقدية الصحيحة أثناء الحكم على الأعمال الأدبية.
- ضرورة وضع نظام أو منهج محدد يتبعه الناقد في أعماله الفنية والنقدية.
- الدعوة إلى التعليل المفصل عند إصدار الأحكام النقدية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. المعاجم:

1. الشريف الجرجاني، (د ت)، معجم التعريفات، د ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.
2. الفيروز آبادي، (2007م)، معجم المحيط، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

2. المصادر:

3. أحمد محمد ابن طباطبا العلوي، (2005م)، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
 4. أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى، (1953م)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق اليسد صقر، ج1، د ط، دار المعارف، القاهرة.
 5. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينور، (د ت)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت.
 6. ابن سلام محمد الجمحي، (1988م)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق جوزيف هل، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
 7. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، (د ت)، المقدمة، د ط، المكتبة التجارية.
 8. عبد القاهر الجرجاني، (1927م)، دلائل الإعجاز، ط4، مطبعة المنار، دار المعارف، مصر.
- 3.المراجع:
9. إبراهيم صدقة، (2011م)، التأثرية والنقد التأثري، د ط، عالم الكتب الحديث.
 10. توفيق مجدي، (2008م)، المعرفة التاريخية للنقد العربي القديم، د ط، دار الوفاء، لنديا لطباعة والنشر، الإسكندرية.
 11. رشيد سلاوي، (2009م)، مصطلح النقد في تراث محمد مندور، ط1، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان.
 12. طه أحمد إبراهيم (د ت)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ج1، د ط، المكتبة الفصليية، السعودية.
 13. عامر فخر الدين، (2000م)، أسس النقد الأدبي في عيار الشعر، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
 14. عبد القاهر حامد، (1949م)، دراسات في علم النفس الأدبي، د ط، المطبعة النموذجية، د ب.
 15. محمد ابن علي، (د ت)، الشواهد النقدية من العصر الجاهلي إلى بداية عصر التأليف، د ط، ديوان المطبوعات، الجامعة الجزائر.
 16. محمد زكي العشماوي، (د ت)، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د ط، دار النهضة العربية، بيروت.

17. محمد مندور، (1996م)، النقد المنهجي عند العرب، منهج بحث في الأدب واللغة، د ط، دار نهضة مصر لطباعة والنشر، القاهرة.
18. ماهر شعبان عبد الباقى، (2009م)، التذوق الأدبي، طبيعته، نظرياته، مقوماته، معايير، قياسه، ط1، دار الفكر، عمان.
19. نجوى صابر، (2006م)، الذوق الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية.
20. وزارة التربية والتعليم، (1999م)، مناهج المرحلة الإعدادية د ط، د، القاهرة.